تقرير

شوقي عشقوتي

تحوّلات إقليمية جيوسياسيّة كبرى في 2025 شرق أوسط بقيادة أميركية و"هندسات" إسرائيلية

زلزال 7 اكتوبر 2023 لم يخمد بعد وارتداداته ما زالت تسمع وتهز ارجاء الشرق الاوسط. "طوفان الاقصى" لم يهدأ بعد وامواجه ما زالت تضرب في المنطقة وتغير معالمها. ما بدا في غزة تمدد في اتجاه لبنان وسوريا وايران، واحدث تغييرا في المشهد الاقليمي وبدا يغير في وجه الشرق الاوسط، محدثا تحولات كبرى جيوسياسية للعام الثاني على التوالي

كان العام 2025 حافلا بالمفاجآت والاحداث والتحولات التي قادها الرئيس الاميركي دونالد ترامب شخصية العام من دون منازع على مسرح شرق اوسطي مضطرب اقتحمه لاعب جديد اسمه احمد الشرع احد ابرز نجوم هذا العام.

شهد الشرق الاوسط في غضون عامين تحولات جذرية وعميقة واحداثا جساما ومفصلية لم يشهدها في كل تاريخه الحديث الذي بدل فيه حدثان كبيران في القرن العشرين: قيام دولة اسرائيل، وقيام الجمهورية الاسلامية في ايران. في الـ25 سنة الماضية، كان الاجتياح الاميركي للعراق ردا على هجمات 11 سبتمبر 2001 او تذرعا بها، الحدث الاقليمي الكبير الذي احدث تغييرا في الخارطة الشرق اوسطية. وهذا التغيير انطلق من العراق مع سقوط نظام صدام حسين وقيام نظام جديد مركزي ـ فيديرالي قائم على 3 مجموعات طائفية قومية وواقع تحت تأثير ونفوذ اميركي ـ ايراني. وتجاوز التغيير حدود العراق مع إطلاق واشنطن يد طهران في المنطقة وقيام مشروع ايراني "توسعي" في العالم العربي على انقاض ثورات وانقلابات "الربيع العربي". هذا التحالف الموضوعي بين اميركا وايران، والذي بلغ ذروته في عهد اوباما، انحاز بشكل واضح الى الخيار الشيعي واغضب حلفاء اميركا من الدول السنية التي بدأت في اعادة حساباتها والبحث عن مصادر حماية وعلاقات بديلة.

نقطة التحول الكبرى التي اوقفت هذا المسار الاميركي و"كسرت" المشروع

الايراني الاقليمي، تمثلت في انفجار الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني في 7 تشرين الاول 2023 مع العملية التي نفذتها حماس في مستوطنات غلاف غزة وفاقت الخيال في وقائعها ومسارها ونتائجها، بعدما انتجت حروبا في المنطقة لم تنطفئ نارها بعد، واوجدت بيئة استراتيجية حاضنة لمشاريع كبرى، وبدلت في صورة المنطقة ومعالمها. من اهم وابرز هذه التحولات على الاطلاق، سقوط نظام بشار الاسد في سوريا، هذا السقوط الذي حدث في نهايات العام 2024 وهيمن على اجواء واحداث العام 2025 وخلط اوراق المنطقة، متسببا بنتائج استراتيجية فورية، كان ابرزها خسارة روسيا لأهم حليف ومرتكز استراتيجي لها في العالم العربي وعلى شاطئ البحر المتوسط، وخروج ايران من سوريا بشكل كامل عسكريا وسياسيا واقتصاديا، ما ادى الى تضعضع محور المقاومة وكسر ظهره لأن سوريا كانت تشكل الحلقة المركزية فيه، ويكفي انها كانت الممر الجغرافي والجسر الاستراتيجي على طريق طهران ـ بيروت مرورا ببغداد ودمشق. وادى خروج روسيا وايران الى دخول لاعبين جدد وبقوة الى الساحة السورية: تركيا التي باتت تمتلك النفوذ الاقوى مع قيام سلطة جديدة موالية لها ونظام اسلامي حليف. واللاعب الثاني اسرائيل التي فرضت نفسها بالقوة العسكرية طرفا مهيمنا، واستولت على اجزاء واسعة من جنوب سوريا، واطلقت العنان لمشاريعها الهادفة الى اقامة منطقة امنية عازلة ومنطقة منزوعة السلاح في جنوب سوريا وكيان درزي ممهد لكيانات طائفية اخرى. وكانت النتيجة ان تنافسا وصراعا نشأ على الارض السورية بين اسرائيل وتركيا، وان الولايات المتحدة تولت ادارة هذا الصراع واقامة توازن دقيق بين دولتين احداهما حليفة وثانية صديقة.

اما اللاعب الثالث الذي دخل الى الساحة السورية، فكان المملكة السعودية وولي عهدها الامير محمد بن سلمان الذي كان اول طرف عربي يجلس الى الطاولة السورية التي احتكرتها طيلة سنوات الحرب ثلاث قوى اقليمية: إيران وتركيا واسرائيل. وسريعا نجح بن سلمان في "استضافة" لقاء استثنائي من خارج

السياق المألوف جمع بين ترامب والشرع واطلق مسارا جديدا في المنطقة، مع اعطاء قوة دفع للمشروع الاميركي من جهة، واعطاء دور فاعل ومؤثر لسوريا من جهة ثانية.

زيارة الرئيس ترامب الى دول الخليج في حزيران الماضي شكلت نقطة التحول الكبير في مجرى الاحداث، ودشنت مرحلة جديدة في اتجاه "الشرق الاوسط الاميركي الجديد". أعلن ترامب العودة الاميركية الى الشرق الاوسط، الى منطقة يعدها حيوية واستراتيجية لمصالح الولايات المتحدة وامنها القومي، وبذلك وضع حدا لمرحلة الانكفاء الاميركي عن المنطقة التي بدأت مع انسحابات مذلة او غير مبررة من افغانستان والعراق، وبادر الى اقامة ربط محكم بين المصالح الاميركية والشرق الاوسط كقاعدة اساسية لها، وقرر الدخول من باب الخليج والسعودية خصوصا ومن خلفية "الاقتصاد اولا".

اقام ترامب مع بن سلمان الذي يصفه دائما بالصديق الرائع والرجل العظيم، أكبر شراكة اقتصادية استراتيجية، وايضا امنية دفاعية، وابرم اتفاقيات وصفقات بمليارات الدولارات، ولبى طلبه برفع العقوبات عن سوريا. وهكذا انتهى الامر في سوريا الى ان يجري ملء الفراغ الاستراتيجي، الذي حصل مع اندثار نظام الاسد، من الولايات المتحدة والسعودية، مع بقاء تركيا لاعبا ثانيا ومتقدما وفرض اسرائيل نفسها لاعبا مشاغبا مقابل خروج جزئي ومكلف لروسيا التي نجحت في الابقاء على تواجدها العسكري وقواعدها الجوية والبحرية في اللاذقية وطرطوس، ولكن بكلفة سياسية عالية وتقديمات للنظام الجديد، وخروج كامل لايران التي دفعت ثمن قراءاتها وحساباتها الخاطئة للاستراتيجية الاميركية الجديدة، ولاسرائيل الجديدة المتطرفة. وكان الثمن باهظا مع تجاوز الضربات الاسرائيلية حدود لبنان وسوريا واليمن، ووصولها الى العمق الايراني بمشاركة اميركية كاملة

> **سقوط نظام الاسد ارخى بظلاله على مجمل الشرق الاوسط**

مع توجيه ضربة قاصمة للبرنامج النووي الايراني الذي كان نقطة القوة الاساسية لدى إيران وورقتها التفاوضية الاقوى.

ايران التي اتبعت دوما استراتيجية الحرب غير المباشرة مع اسرائيل عبر الوكلاء، وصل الحريق الى ارضها بعد انهيار الخطوط والدفاعات الامامية المتقدمة، واضطرارها الى خفض سقف طموحاتها من قوة اقليمية تصول وتجول في ارجاء المنطقة وتفرض ايقاعها ومصالحها، الى دولة منهمكة في الدفاع عن امنها ونظامها. لم تتوقع ايران بداية الامر ان تحولا جذريا وسريعا حصل في اسرائيل، وان اسرائيل جديدة ومختلفة تماما ولدت من "رحم غزة"، ولم تتوقع ان يكون التدخل الاميركي في الحرب مباشرا في هذا المستوى والحجم، وان يكون الدعم الاميركي لإسرائيل مطلقا ومفتوحا بالمال والسلاح والتكنولوجيا والمعلومات والديبلوماسية. كما لم تتوقع ايران ان تقوم اسرائيل بضربها وتنقل الحرب الى ارضها، وان تتشارك وواشنطن بهذه الضربة، وتلقي بكل ثقلها والقنابل النوعية الخارقة للتحصينات والمنشآت النووية.

كانت ايران وصلت الى هذه الحرب منهكة القوى بعدما "ضربت" اذرعها وحلفاءها في المنطقة، وفي خلال الحرب انكشف الامر عن ضعف جهوزيتها وقدراتها العسكرية، لا سيما الجوية والدفاعية، وعن ضعف تحالفاتها وعلاقاتها الدولية، لدرجة انها بدت وحيدة من دون حلفاء فضلوا التفرج بدل التدخل، وان يلعبوا دور الوسيط بدل الطرف. خسرت ايران الجولة، لكنها لم تهزم لمجرد انها نجحت في الخروج بحد ادنى من الخسائر وفي انقاذ نظامها وحيازة فرصة متبقية للاندماج مجددا في النظام الاقليمي والدولي، لكن بالشروط الاميركية.

الحرب الاسرائيلية (الاميركية) ـ الايرانية كانت الاخطر والاسرع، وبعد تحييد ايران عن معادلة الشرق الاوسط وعن واجهة المشهد الاقليمي، فتحت الابواب امام المشروع الاميركي للشرق الاوسط الجديد، واندفع الرئيس ترامب لتنفيذ مشروعه الذي يذهب الى ابعد من تفكيك برنامج نووي لايران، الى تفكيك المنطقة سياسيا واعادة تركيب خارطتها الجيوسياسية، ومقدما نفسه رجل تسويات وصفقات، ومستخدما مبدا السلام بالقوة، اي استخدام القوة من اجل السلام، ومتوعدا باحداث تغييرات كبيرة.

نجح الرئيس ترامب من خلال قمة شرم الشيخ التي شارك فيها قادة دول عربية واسلامية كبرى في استيعاب المسار الاخر الذي انطلق من "اعلان نيويورك" في شأن حل الدولتين، وانبثق من المؤتمر الدولي لحل الدولتين برعاية سعودية - وفرنسية. قبلها نجح ترامب في احتواء ◄

ردة الفعل الخليجية والعربية على حرب غزة واوقف هذه الحرب، كما نجح في كبح جماح قمة الدوحة التي انعقدت تضامنا مع قطر التي استهدفتها اسرائيل عن طريق خطأ جسيم ارتكبه نتنياهو الذي اراد التخلص من قادة حماس بضربة واحدة، لكنه لم ينتبه الى انه ضرب المصالح الاميركية والحق الاذى بصدقية ترامب وتعهداته بحماية دول الخليج وامنها وانظمتها. وسريعا عمل ترامب في غضون اشهر قليلة على اعادة بناء الثقة في العلاقات الاميركية ـ العربية، ونجح في تحقيق هذا الهدف.

وعندما احتدم الخلاف والصراع المائي بين مصر واثيوبيا، عرضت واشنطن وساطتها بين البلدين منحازة الى مصر ومتفهمة حاجاتها ومصالحها، ومعترفة بدورها المحوري في غزة قبل التوصل الى اتفاق انهاء الحرب وبعده، وفي مسار السلام الذي انطلق من شرم الشيخ تحديدا.

وعندما مضت السعودية قدما في اعطاء مشروع حل الدولتين والدولة الفلسطينية قوة دفع دولية، لم يواجه ترامب هذا التوجه وانما جاراه وتبناه ضمنا لعلمه ان وقف الحرب في غزة ليس كافيا لارضاء السعودية والعرب، وان مفتاح السلام والمسار الابراهيمي هو البحث عن حلول للقضية الفلسطينية، وان اتفاقية التطبيع بين السعودية واسرائيل تمر اولا عبر واشنطن والاتفاقية الدفاعية الاميركية ـ السعودية، لكنها مشروطة بتحقيق امرين من جانب واشنطن: الدفع في اتجاه "حل الدولتين"، واحتواء خطر وهاجس ايران في المنطقة.

> **انكفاء ايران وصعود السعودية وتمدد تركيا ابرز سمات العام 2025**

مع الرئيس ترامب يتعاظم دور وحضور الدول العربية في الشرق الاوسط الجديد، وفي الحسابات الاميركية، وهذا يصب في خدمة القضية الفلسطينية التي ترسخت قضية مركزية في المنطقة والعالم، وهذا يصب ايضا في خدمة ومصلحة لبنان. اليست السعودية من تقوم بدور الوساطة والرعاية بين سوريا ولبنان؟! اليست مصر من تقوم بدور وساطة بين اسرائيل ولبنان وايجاد ارضية للتفاوض بينهما؟

بعد عامين على "طوفان الاقصى" الذي ردت عليه اسرائيل بـ"طوفان النار"، فاض الحريق عن حدود غزة، واختفى لاعبون وتغيرات ملامح وخرائط. ارغمت ايران على مغادرة سوريا وجلس احمد الشرع على كرسي بشار الاسد. حشرت حماس في زاوية الخيارات الضيقة بين السيىء والأسوا، بين قبول خطة ترامب وشروط اسرائيل او البقاء في الجحيم. تغير حزب الله بعدما خرج خاسرا من

الحرب، لكنه غير مهزوم، وخسر قادته وعمقه السوري وممره الى ايران التي تغيرت صورتها ايضا، فلم تستطع انقاذ واسناد حلفائها، ولم تستطع رد الطائرات الاميركية عن منشاتها النووية، ولا الطائرات الاسرائيلية عن اجواء طهران، وها هي رياح العقوبات تهب مجددا على اقتصادها المنهك.

الضفة الغربية هي الهدف الثاني والاهم لاسرائيل بعد غزة، مع اطلاق اسرائيل اوسع حملة عسكرية بهدف تغيير الواقع في الضفة الغربية التي تحولت الى ساحة حرب حقيقية. وفي وقت يراهن فيه بعض مسؤولي السلطة الفلسطينية في غزة على ان تفضي نتيجة الحرب الى نهاية حماس للعودة الى حكم القطاع، فان رهان نتنياهو ان يخرج من غزة منتصرا ليدخل الضفة مفككا حق وامل الفلسطينيين في دولتهم بنزع كل مصدر محتمل لها، عسكري وسياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي.

في سوريا تتضمن الخطة الاسرائيلية تقسيم الجنوب الى ثلاثة مستويات امنية، على نحو يحاكي اتفاقية "كامب ديفيد" الموقعة بين اسرائيل ومصر عام 1979. وبحسب الخطة الإسرائيلية، تقوم اسرائيل بقضم مناطق اضافية من الاراضي السورية، عبر توسيع المنطقة العازلة التي جرى تحديدها بموجب اتفاقية وقف اطلاق النار الموقعة بين دمشق وتل ابيب عام 1974 بعمق كيلومترين. وفي المستوى الثاني، تمنع الخطة السلطات السورية من ادخال اي اليات عسكرية ثقيلة الى الجنوب. اما في المستوى الثالث، فيحظر تحليق اي طائرات عسكرية سورية جنوب البلاد، انطلاقا من جنوب غربي العاصمة دمشق وصولا الى المنطقة العازلة، على ان تحتفظ اسرائيل ببعض المناطق التي احتلتها عقب سقوط النظام السابق، بما فيها وجودها العسكري في قمة جبل الشيخ الاستراتيجي.

تبقى ايران هي الهدف المركزي لاسرائيل والولايات المتحدة في العام 2026. لم يعد السؤال ان كانت تل ابيب وطهران ستخوضان جولة جديدة، بل بات السؤال متى ستكون الجولة الثانية؟

منذ ان اعلن الرئيس الاميركي دونالد ترامب وقف اطلاق النار بين اسرائيل وايران في تغريدة على منصة "تروث سوشيل"، لم تظهر اي محاولات جدية لاحتواء امكان تجدد المواجهة. وهذا ما يجعل وقف اطلاق النار بين الجانبين هشا للغاية.

1- لم تقف المواجهة على اساس اتفاق سياسي، بل بسبب ارادة ترامب وقفها من دون اي ترتيبات سياسية على الجانبين، بما في ذلك غياب اليات الرقابة لقرار وقف اطلاق النار.

2- لم تصل المواجهة الى نتيجة حاسمة بانتصار كامل لفريق على آخر. اذ اكتفى الجانبان بتبادل الضربات وتسجيل النقاط، من دون غلبة واضحة. وهذا ما ترك فراغا استراتيجيا زاد من وتيرة التهديدات المتبادلة بين تل ابيب وطهران.

3- استغل الجانبان فترة وقف اطلاق النار لاعادة ترتيب القدرات الهجومية والدفاعية ومعالجة الثغرات التي ظهرت في الجولة الاولى.

4- انعدام الثقة بين طهران وواشنطن، بخاصة ان ايران تعرضت للهجوم الاسرائيلي بضوء اخضر اميركي قبل 48 ساعة من جولة تفاوضية كانت مقررة في سلطنة عمان. وهذا ما يجعل انهيار الهدنة بين ايران واسرائيل واردا في اي لحظة.

كل الحسابات الاستراتيجية والتحليلات العسكرية تشير الى ان اسرائيل تحضر لشن هجوم جديد على ايران. وتؤكد ان ايران، بدورها، تتوقع هذا الهجوم، وتستعد للرد بضربات حاسمة. نتيجة لذلك، من المرجح ان تكون الحرب المرتقبة اكثر دموية بكثير من الاولى.

وفي حين ان حرب حزيران انتهت بشكل غير حاسم (لا غالب ولا مغلوب)، فان نتيجة اي حرب مقبلة ستتوقف على اي من الجانبين قد تعلم اكثر من الاخر، واي منهما سيتصرف اسرع من الاخر.